

مَعْرَكَةُ تَلِدُ

د. عبد العزيز بن عبد الرحمن الثنيان

مكتبة العبيكان

بطولة ملك

(٧)

مَعْرَكَةُ تَلِدُ

د. عبد العزيز بن عبد الرحمن الثُّنَيَّان

مكتبة العبيكان

ح مكتبة العبيكان، ١٤١٩هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الثُنيّان، عبد العزيز بن عبد الرحمن

معركة تلد. - الرياض.

٢٤ص، ١٧ X ٢٢ سم (سلسلة بطولة ملك؛٧)

ردمك: ٢-٤٧٨-٢٠-٩٩٦٠

١- عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود، ملك السعودية

٢- السعودية - تاريخ الملك عبد العزيز ٣- كتب الأطفال - السعودية

أ - العنوان ب - السلسلة

ديوي ٩٥٣،١٠٥ ١٨/٤٠٨٨

ردمك: ٢-٤٧٨-٢٠-٩٩٦٠ رقم الإيداع: ١٨/٤٠٨٨

الطبعة الأولى

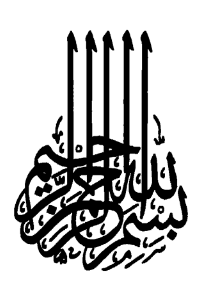
١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م

مكتبة العبيكان

الرياض - العليا - تقاطع طريق الملك فهد مع العروبة.

ص.ب: ٦٢٨٠٧ الرياض ١١٥٩٥

هاتف: ٤٦٥٤٤٢٤، فاكس: ٤٦٥٠١٢٩


بسم الله الرحمن الرحيم

مَعْرَكَةٌ تَلِدُ

جاءَ في الأثر: « من رأى حَضَنًا فقد أنجدَ».

وحضنٌ: جبلٌ يفصلُ بينَ نجد والحجازِ، وعلَى مقرُبة مِن هذا الجبل تقعُ بلدتا تُربةَ والخُرْمة.

وسكانُ هذه المناطق قد اقتنعُوا بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وصار ولاؤهم لآل سعود الأوائل.

ودارت الأيامُ، ومضت السِّنون، وتغيرت الأحوال، وكثرت الأطماع، وتوالتْ حروبٌ، وقامت فتنٌ، وظهرتْ زعاماتٌ.

وبرزَ في نجد أسَدٌ حنّت إليه المدنُ، وعظيمٌ تسابقَتْ نحوه الأقاليمُ، أخذَ يعيدُ مُلْكَ آبائه، ويستردُّ مجدَ أجداده.

وجاءَتْه الوفودُ من تلكَ المنطقة، تشكُو حالَها، وتُعلن ولاءَها، وتؤكِّدُ أنَّها له، وليستْ للحسين بن علي ملك الحجَاز آنذاكَ.

وقدمَ إلى الرياض أميرُ الخرمة، خالدُ بنُ لؤيّ، يشكُو إلى الملك

عبدالعزيز ظلمَ الشريف، ويطلبُ معونَتَه، فقد سبقَ أن سجنَه الحسين وأهانَه، وتطاولَ عليه ابنُه عبدُ الله ولطَمَه، وأشعلَ النارَ في قلبه.

ويا لَها من صَفْعة جرَّحت الفؤادَ، وأدمت المُقلَ!

وشتَّانَ ما بين زعيم يكرمُ ويعفُو ويجْبُرُ عثَرات الكرام، وآخرَ يُهينُ ويجرحُ!

وقد أكرمَ الملكُ عبدُ العزيز خالدَ بنَ لُؤَيٍّ، وطيّبَ خاطرَه، وهدَّأ من غضبه وَطمْأنَه.

وكانَ الحسينُ يرَى أن هاتين البلدتين (تُربَةَ والخُرْمة) من قُرَى الحجاز، بينَما يرَى الملكُ عبدُ العزيز أنهما من نجد، وخصوصاً أن أكثرية سكانَهما يُعلنونَ وَلاءَهم له.

وكاتَبَ الملكُ عبدُ العزيز الحسينَ بن علي، ورَغبَ في المسالمة والمحاورة، ولكنَّ الحسينَ لم يستجبْ، وصارَ يتحدَّثُ عن العُصَاة وتأديبهم، ويقصدُ سكان تلك المناطق.

وجرَت مكاتباتٌ بينَ المَلك عَبد العَزيز وخَالد بن لُؤَيٍّ، وهُو منَ الأشراف، وابنُ عمٍّ لَهم. وفي تلكَ الرَّسائل نجدُ الملكَ عبدَ العَزيز

يُهدِّئ ويُطمئنُ، ويجنَحُ للسّلْم، ويرغَبُ في المسالَمة والمصَالَحَة، وابن لُؤيٍّ يعيشُ مرارةَ القَسوة، وصَلَفَ المعاملَة ويستنجدُ ويستحثُّ.

يقولُ الملكُ عبدُ العَزيز في رسَالة بعثَ بهَا إلى خَالد بْن لؤيٍّ: كُفُّوا أنفسكم، لا يَصير على الشَّريف وطوارفه حركاتٌ منكُم قَطعياً، ولا تتعدُّوا حدودكم.

ويقولُ خالدُ بن لُؤيٍّ في إحدَى رسَائله إلى الملك عَبد العَزيز: اليَومَ الشَّريفُ غنيٌّ عَن جَميع الخَلق وطامعٌ في حُكم بلادٍ واسعةٍ.

ويقولُ ابنُ لُؤَيٍّ في رسَالة أخرَى: اليومَ يا أبَا تُركي، واللّه لا أبحثُ عَن فتنَة، ولا أريدُ شَراً يصيرُ بينَ النَّاس، ولكنْ نريدُ منكَ حَلاً يخلِّصُنا من شَرِّ هذا الرجُل بأيِّ حَال يصيرُ. وتعرفُ اليومَ مَا للعربِ إلا الله، ثُم أنتَ، ولا مُحامٍ عَنهم إلا الله، ثُم أنتَ.

وتَصَبَّرَ الملكُ، وهادنَ الحسينَ، وراسلَه وسالمَه، ولكنَّ الحسينَ يكيدُ ويُظهرُ ما لا يبطنُ، وضايقَ مَن كانَ في الحجَاز من التُّجَّار النجديِّينَ، ومنعَ الاتِّصالَ التِّجاريَّ بينَ بلادِه ونجدٍ، وجعلَ بلادَه منطلقاً لخصومِ الملكِ عبدِ العزيزِ.

ووصلَ في عَام من الأعوَام إلى القُوَيعيَّة التي تَبعدُ عَن الرِّياض مائتي كيلومتر غرباً، وأمسكَ بالأمير سَعد بن عَبد الرَّحمن، وفاوضَ الملكَ عبدَ العزيز، وتوصَّلَ معَه إلى اتِّفاقٍ، بموجبه أطلقَ سراحَ الأمير سَعد.

وجرَت الأحداثُ، ومضَت الأيامُ، وقامَت الحربُ العالميةُ الأولَى، وبينَما الملكُ عبدُ العزيز في الحيَاد كانَ الحسينُ بنُ عليٍّ يُعلنُ الثَّورةَ علَى تركيَّة، ويُسمِّي نفسَه ملكَ العَرَب، بَل خَليفةَ المُسلمينَ.

وكانَ الملكُ عبدُ العَزيز يرغبُ في الوئَام معَ الحُسين، ويتحمَّلُ الآلام التي تَلحقُه منه، ويراسلُه ويصفُه بالوَالد ويبجِّلُه ويعظِّمُه. يقولُ في إحدَى رسَائله: إلى جَناب الأجلِّ الأمجَد الأفخَم ذي الهمَم العُليا، وَالدنَا المكرَّم، سَليل الهاشميَّة الطَّاهرة، حَضرَة أمير مكةَ المكرَّمَة، الشَّريف حُسين بنِ عليٍّ المحترمِ، وفَّقَ الله معاليَه. آمينَ.

بعدَ مَزيد السَّلام عليكُم ورَحمة الله وبركاتُه على الدَّوام، معَ السُّؤال عَن شَريف خَاطركم العَاطر، لا زلتُم بكَمال الصِّحة وأوفَر السُّرور.

وعنَّا نشكرُ اللهَ تعالَى علَى نعَمه. نحنُ بخَير، وأحوالُنا من كَرَم

اللَّه جميلةٌ. مُشرَّفُكُم[1] المكرَّمُ وصلَ، وفهمْنا مضمونَه، ولَو أنَّه مَا هُو الواجبُ علَيكم ذكرُ بَعض الألفَاظ التي وردَتْ فيه، لكنَّنا لموجبِ المصلحة الحاضرةِ للجَميعِ نتحمَّلُ ما جاءَ منكُم.

ويقولُ في هَذه الرِّسالة: ثُم لا بدَّ أنَّ حضرتكم متشكِّكٌ أنَّ لي في أمْر أهْل الخُرْمة سبَباً، وأنِّي أنَا الَّذي محرِّكُهم، لا، وربِّ إبراهيمَ ومحمَّد، فأنَا من العامِ الماضي وأنَا معكم وعَليهم.

ويقولُ رحمَه الله: والآنَ - أدامَ الله وجودكم - أهنتُ نَفسي، وأبديتُ الواجبَ الذي أرَى فيه الصَّالح لنَا ولكُم خاصَّة، ولرعيَّتنا وحُلفائنا.

ويقولُ كذلكَ: ولا هُو خَافيكم حالُ الفتَن؛ إنَّهَا تَبحَث خفايَا دَفينة. والمشكلُ فيهَا كثيرٌ، سواءً من جهَة الأعداء ومن جهَة الرَّعايَا. والآنَ أحببتُ أنْ أعرضَ علَى حَضرتَكم رَأيي. أمَّا من جهَتي فثقْ بالله أنَّه ما زالَ الأمرُ يندَفعُ، وأنَا أقدرُ علَى مَنعه أنَّه مَا يَجيئكم منِّي أمرٌ يُؤذيكم. وأمَّا من جهَة أهْل الخُرْمَة فأنَا أرَى أن تكتبَ لخَالد[2] وكافَّة أهْل الوَادي، وتَذكرَ لَهم أنَّ هَذه أمورٌ أجرَاها الله عَلى غَير عَقد رَأي، وإلا نحنُ وأنتُم وابنُ سُعود يَدٌ واحدةٌ عَلى الأعداءِ.

(١) مُشرفكم: أي رسالتكم المُشرَّفة.

(٢) يقصد خالد بن لؤي الشريف.

ويقولُ في آخر الرِّسَالة: فبمُوجب محبَّتي للائْتلاف معَ حَضرَتكم وتحرِّي السِّلم، ومضرَّة الأعدَاء كتبَتُ هذَا الكتابَ، وتَركتُ المراعاةَ لِمَا قبلَه. ولا شكَّ أن عقلكم وسياستكم يدلُّكم عَلى الصَّلاح، ودرءِ الائتلاف - إن شاءَ اللهُ - كمَا هيَ سجيَّتُكم، هذَا ما لزمَ تعريفُه.

إنَّ هَذه الرسالةَ لوحةٌ مضيئةٌ تجسِّدُ عظمةَ الرَّاحل وحلمَه، فهُوَ يعظِّمُ الحسينَ ويوقِّرُه ويلقِّبُه بالوَالد، ويتحمَّلُ الألفاظَ القاسيةَ والكلمَات النَّابية، ويقسمُ لَه باللَّه أنَّه يرغبُ المسالمَةَ والمصالحةَ، ويوضِّحُ لَه عواقبَ الفتَن، ويتعهَّدُ لَه بألاَّ يأتيَه من قِبَلِه إلاّ الخيرُ والحبُّ.

ولكنَّ الحسينَ خلافُ ذلكَ؛ فله أهدافٌ أخرَى، فها هو يكاتبُ الملكَ عبدَ العزيز، ويرسلُ إليه صُرَّتَيْن، في باطنهما ألفٌ وخمسُمائة جنيهٍ ذهباً، ثمَّ يرسلُ بعدَ أقلَّ من ثلاثةِ أشهُرٍ صُرَّةً ثالثةً بداخلها ألفُ جُنيهٍ.

وساورَت الملكَ عبدَ العزيزِ الظُّنونُ، وشَكَّ في موقف الحُسَين، وماذَا يُريدُ؟

واستشارَ والدَه الإمامَ عبدَ الرحمن وبعضَ مستشاريه، وأخبرهم

بصُرر الذهب التي وردَت من الحسينِ، وقالَ: سأكتبُ إليه لأستجليَ الأمرَ.

وأرسلَ الملكُ عبدُ العزيز رسالةً رغبَ فيهَا بحْثَ الحُدُود، وقالَ: قد يكون بينَنا وبينكم سوءُ تفاهُم في الماضي، فلا بدَّ إذاً من التفاهُم والتأمينات، وذلكَ بأنْ تُحدَّدَ الحدودُ بينَنا وبينكم، فتزُولَ الشكوكُ، وتتضاعفَ من أهل نجد المساعدات.

إن البطلَ عبدَ العزيز لا يُشترَى بالمال، ولا يُخدَعُ بحُلو الكلام، فكيف سيكونُ جوابُ الحُسَين؟

وجاءَتْ إجابةُ الحسين على الرسالة بكلمات نابية. وفهمَ الملكُ عبدُ العزيز من الجواب أنَّ الحسين أصبح يزعُم أنه ملكُ العَرب، وأنَّ نجداً من بلاده، وأن الملكَ عبدَ العزيز من رعاياه.

لقد قَطعَتْ جَهيزةُ قَوْلَ كُلِّ خَطيب، كما وَرَدَ في الأمثال، وانجلَى الأمرُ، وعرَفَ البطلُ الهدفَ من الذهب، والغرضَ من الرسائل.

وتحمَّلَ السِّياسيُّ المحنَّكُ، والعَظيمُ البَطلُ، وهَادَنَ وسَالَم، وانتهَت الحربُ العالميةُ الأولى سنة ١٣٣٧هـ/ ١٩١٨م.

وبعدَ انتهاء الحرب شعرَ الحسينُ بالعظمة والتعالي، وزاد كبرياؤه.

وكتبَ ابنُه عبدُ الله إلى الملك عبد العزيز يخبرُه برحيل الأتراك من المدينة المنورة، ووقوعها تحتَ سيطرته، وقالَ في رسالته للملك: «. . . ثم أخبرُك بأنَّ الله فتحَ لَنا أبوابَ مدينة خَير البريَّة، وأن حاميتَها قد أُسرَتْ، واستولَيْنَا على جميع ما فيها من السلاح الثقيل والخفيف، وجميع الأملاك والآلات والأدوات العائدة إلى الحكومة الغابرة».

ويقولُ: ولا يخفَى علَى مَداركِكم أنَّه لَم يبقَ - والحالةُ هذه - شاغلٌ ما يشغلُ حُكومةَ صاحب الجلالَة - أدامَهُ اللهُ وأيَّدَه - عن الالتفات لإصلاحِ داخليتها وشؤونها، والتنكيل بمَنْ يسعَى للإفساد والتخريب من العشائر التابعة لها.

وأجابَه الملكُ عبدُ العزيز مهنئاً ومباركاً، ودعاه للتفاهُم بخصوص العشائر التي يقصدُها، وأكَّدَ له أنه لا يريدُ غيرَ السِّلم والسلام.

وردَّ عليه عبدُ الله برسالة في ٣ من جمادى الآخرة سنة ١٣٣٧هـ يخبره أنه عائد إلى مكةَ المكرمة بعدَ أسبوع. وجاءَ في رسالته: إني أخُوكُم الصادقُ، ومستعدٌّ لمساعدتكم بما تأمرونَ، ولا يجوزُ أن تُفرِّقَ

بينكُم وبينَ والدي أمورُ البادية التي لا أهميَّةَ لهَا . . وكيفَ يمكنُ أن يحدُثَ خلافٌ بينَ رجلين كبيرين بخصوص تُربةَ والخرمة والبادية؟!

هَأنذا متوجِّهٌ إلى مكةَ، فأرجوكُم أن ترسلوا أحدَ رجالكم، وإن ارتأيتُم أن يكون أحد أنجالكم فذلك أولى، وأنا كفيل بالنجاح وحسم الخلاف، والاتفاق معَ سيدي الوالد.

وكانَ للملك عبد العزيز عُيونُه، فقَدْ جاءَه مَن يخبرُه أنَّ عبدَ الله بنَ الحسين يتأهَّبُ للزحف على تربةَ، وأنَّه يظهرُ ما لا يبطنُ.

وتأمَّلَ الملكُ الأمرَ، فهلْ يدَعُ الحسينَ يتطاولُ ويستمرُّ في غيِّه أو يوقفُه ويردُّه؟ وفضَّلَ الملكُ الحوارَ والنقاشَ.

يقولُ الزركليُّ: ليسَ في تاريخ عبد العزيز حادثٌ واحدٌ يدلُّ على أنَّه ابتدأ إنساناً بشَرّ أو عداء، قاتل كثيراً وفي غريزته كُرْهُ القتال، وعادى كثيراً وفي فطرته حُبُّ المصافاة، وفتَكَ بكثيرينَ وأمقَتُ ما يمقُتُه سفكُ الدمِ.

حُروبُه مع آل رشيد لردِّ عُدوانهم عن عرشه وعرش أسلافه، وحُروبه معَ الترك لاحتلالهم بعضَ بلاده، وموالاتهم آلَ رشيد عليه.

وحروبُه مع إمارات شبه الجزيرة وقبائلها لأسباب لم يكنْ هوَ البادئَ بها .

كذلكَ خصومتُه للشريف حسين بن عليّ، قبلَ أن يثورَ على الترك وبعدَ الثورة، لمْ يكنْ عبدُ العزيزِ من جُناتها .

ويَمُرُّ الوقتُ والملكُ عبد العزيز يحاولُ تهدئةَ الأمور، ولكنَّ الحسينَ خلاف ذلك، وأيقن الملكُ عبدُ العزيز أن الحسينَ صَارَ يَرى أنه ملكُ العَرب وسيّدُ المنطقة . وجزمَ أنَّ الحسينَ باتَ ينظرُ إليه علَى أنه من رعاياه، ولهذا شرعَ يستعدُّ للمنازلة والمجابهة .

فليسَ الحسينُ بملك العرب ولا سيدَهم، وليستْ له سلطةٌ ولا سيادة على الملك عبد العزيز .

واحتاطَ الداهيةُ، وأعدَّ العُدَّة للرَّدِّ والصدِّ، وكَوَّنَ قُوةً لنجدة تُربَةَ والخُرْمة، وجهَّزَ جيشاً لمساعدة أبناء تلك المنطقة، وكأنّي به يرددُ قولَ الشّاعر الجاهليِّ الحُصَين بنُ الحُمامِ :

ولَمّا رأيتُ الوُدَّ ليسَ بنَافعي

عَمَدْتُ إلى الأمْر الذي كانَ أحْزَمَا

فلستُ بمبتاعِ الحَياةِ بذلَّة

ولا مُرْتَقٍ منْ خَشْيةِ المَوتِ سُلَّمَا

وظلَّ -رَحمَه الله- يرقُبُ الأمرَ، ويحاولُ تهدئَةَ الوَضع، ويُرسِلُ الرَّسائلَ تلوَ الرَّسائلِ إلى عبدِ اللَّه بن الحُسَين.

وتَردُ الأخبارُ أنَّ الجيش يزحفُ إلى تربةَ والخرمة، وأنه مرَّ بعُشيرةَ، واجتازَ جبلَ حضن، ونزلَ في مكان يسمَّى البُديع.

وتعاظمَ الخطرُ، واشتدَّت اللهجةُ، وزأرَ الملكُ عبدُ العزيز، وأرسلَ كتاباً مطولاً لعبد الله بن الحسين قالَ فيه:

قد تحقَّقَ عندي خلافُ ما أخبرتَني به سابقاً، أي أنَّك عائدٌ إلى مكةَ المكرمة. والظاهرُ أنَّكَ مهاجمٌ تربةَ والخرمةَ. وذلكَ مخالفٌ لما أبديتُموه للعالم الإسلاميِّ عمومًا، والعربيِّ خصوصًا، واعلَمْ -رعاكَ الله- أن أهلَ نجد لا يخذلونَ إخوانَهم، وأنَّ الحياةَ في سبيل الدفاع عنهُم ليستْ بشيء. نَعمْ وإن عاقبةَ البَغْي وخيمةٌ. خيرٌ لك إذاً أن تعودَ إلى عُشيرةَ، وأنا أرسلُ إليك أحدَ أبنائي أو إخوتي للمفاوضة، فتتمُّ

الأمورُ على ما يرغبُ به الفريقان إن شاء الله.

لقد كانَ الملكُ عبدُ العزيز بَطلاً في السلم، بطلاً في الحرب، سيطرَ على مشاعره، وتحمّلَ الأذى، وتجنَّبَ الخطرَ، واستمرَّ في تهدئة الأمورِ، ولكنَّ قضاءَ الله صائرٌ، وحكمَه غالبٌ.

ولهذا جاء الردُّ القاسي من عبد الله بن الحسين يقولُ فيه: تأمرُني بالرجُوع إلى ديرتي من أرضٍ هي لأبي وجدِّي؟! ومتَى كنتَ تمنعُ الناسَ عن ديرتهم؟!

ويقولُ أيضاً: أخبرتُك بأنِّي متوجِّهٌ إلى الوطن لتأديب العصاة، فجاءتْني كتبُك ملؤها المودةُ، فما حملَك الآنَ على تغيير لهجتك؟ أمنْ أجل أنَّنا نؤدِّبُ رعَايانا ونُصلحُ ما فسدَ في قبائلنا؟!

وبعدَ هذا التعالي والإعلان الحربيِّ أرسلَ الملكُ عبدُ العزيز طَليعةً من أتباعه رجال البادية (الإخوان) لنجدة أبناء تلكَ المنطقة.

وسارَ هوَ بعدَ ذلكَ بجيشٍ كبيرٍ قُدِّرَ عددُه بعشرة آلاف مقاتل أو أكثرَ بقليل.

وعرفَ الملكُ عبدُ العزيز أنَّ عبدَ الله بنَ الحسين احتلَّ تربةَ بجيش قوامُه سبعةُ آلاف مقاتل، وأعملَ السيفَ في رجالها، واستباحُوا البلدةَ ونهبُوهَا، وأنَّ عبدَ الله بن الحسين أمرَ بقتل بعض المشائخِ واثنينِ من التجَّار النجديين، وصادرُوا أموالَهم.

وكتبَ عبدُ اللَّه بن الحُسين من مخيَّمه إلى رؤساء البادية في تلكَ النواحي يهدِّدُهم بالويل، وأنه سوفَ يفعلُ بهم مثلَ ما فعلَ بتربةَ إن لَم يأتُوه طائعينَ صاغرين.

يقولُ في إحدى رسائله: ما خفِيَ عليكُم ما حلَّ بتربةَ من ذبح الرجال وتدمير المال.

وارتاعَ النَّاسُ، وذُعرَ القومُ، وحوقلَ السكانُ، واستغاثوا بالله، ثمَّ بالملك البطل، وهتفُوا باسم الله ثم باسم عبد العزيز.

ونقلَ الأثيرُ أنّةَ الجرحَى، وحملَ الطَّيفُ استغاثةَ الضعفاء، وجاءَتْ كتائبُ البطل تتْرَى، وأسرعت جيوشُ الظافر تتسابقُ، وأرسلَ الملكُ عبدُ العزيز مندوباً مرَّةً أخرَى إلى عبد الله بن الحسين بعد احتلاله لتربةَ يرجُوه تسويةَ الأمر، ويطلبُ منه تهدئة الحال، وينشُدُه السلم، ويتمنى عدمَ سفك الدم.

ولكنَّ عبدَ الله لم يستجبْ، وردَّ نجابَ الملك عبد العزيز برسالة شفوية فيهَا تهديدٌ وتخويفٌ، وويلٌ ووعيد، واستهزاءٌ وسُخرية، قال النجابُ لخالد بن لؤيٍّ أمير تربةَ، وللكتائب التي جاءتْ له منجدةً:

إن عبدَ الله بنَ الحسين فعلَ وعملَ، وإنه يقولُ: أخبر الخوارج ـ يقصدُ رجال البادية الإخوان ـ ومن التف حولَهم أننا ما جئنا تربةَ من أجل تربةَ والخُرْمة.

سنصومُ في الخرمة ـ إن شاء الله ـ وسنعيِّدُ عيدَ الأضحَى في الأحساء.

إنهَا الحربُ والقتالُ، إنها النارُ والعداءُ، وليس إلا السيفُ، ولم يعُدْ سوى الموت.

وثارتْ حماسةُ الرِّجال وقد وصلَ هتافُ المستغيثينَ، وعرفُوا سخريةَ عبد الله بن الحسين ومَا فعلَ، وما ينوي، وما يريدُ، وصاح الرجالُ: الويلُ لكَ أيها الظالمُ، الموتُ لك أيها الجائرُ، ماذا فعلَ العُزَّلُ؟ وماذا عمل الضعفاءُ؟ لماذا تقتُلُ العلماءَ؟ لماذا تسفكُ دَمَ التجارِ النجديِّينَ؟

ما ذنبُهم؟ يا ويلكم! أزفَتِ الساعةُ، حانَ حينُكم، ودنَا أجلُكم. ورددُّوا النخوةَ:

إياكَ نعبدُ وإياكَ نستعينُ.

هبَّتْ هبوبُ الجنة. وأينَ أنتَ يا باغيها؟

وعلا هتافُ الرجال، وارتفعَ تكبيرُ الأبطال، لَبَّيْك يا تربةُ، لبيكم أيُّها الصبيانُ. ها نحنُ جئنا، ها نحنُ قَدمنا، موعدُ الجُناة قريبٌ، أليسَ الصبحُ بقريب؟!

ومشتْ جموعُهم، وزحفَتْ كتائبُهم، وكانَ سيرُهم بعدَ صلاة المغرب من اليوم الرابع والعشرين من شعبان سنة ١٣٣٧هـ - ٢٤/ ٥/ ١٩١٩م. وكانَ عددُهم ألفاً وخمسَمائة مقاتل.

وانْفَلَتَ رجلٌ من البادية يصيحُ: النذيرَ النذيرَ يا عبدَ الله بنَ الحسين؛ جاءكُم رجالُ الملك عبد العزيز.

وهَزِئَ ابنُ الحسين من الرجل النذير، وسخرَ من الناصح الأمين، وأمر بقطع عنقه.

جبروتٌ وقسوةٌ، وتعال وتعاظمٌ . . وركَنَ إلى جيشه، وأوَى إلى قوته، وحَسبَ أنَّه الشجاعُ، وظنَّ أنه الغالبُ.

ولكنْ كَم من فئةٍ قليلةٍ غلبَتْ فئةً كثيرةً بإذن الله!!!

وجاءَ رجالُ الملك عبد العزيز بقلوب صامدة، ونفوس باسلة، وعقول ثابتة، هدفُهم دَحْرُ الغازي، وقصدُهم رَدْعُ الباغي، ونشيدُهم إياك نعبدُ وإياكَ نستعينُ.

ونامَ الأميرُ عبدُ الله تلكَ الليلَة مطمئنًا، أخلدَ إلى فراشه، وأوَى إلى خبائه، وهو قريرُ العين، هادئُ البال.

وظنَّ أنَّ حصْنَه منيعٌ، وبأسَه شديدٌ؛ فلديه أسلحةٌ وذخائرُ، وعنده مُعدَّات غنمَها من الأتراك، وحسبَها تردُّ المنيةَ، وظنَّها تحفظُه من البلية.

وبعدَ منتصف الليل هجمت الأسودُ الضَّواري، وزَأرَت اللُّيُوثُ العَوادي.

وذُعرَ الجيشُ الحسينيُّ، وارتبكَ الجندُ، وصارَ يضربُ بعضُهم بعضًا، ويبطشُ بعضُهم ببعض واختلطَ الحابلُ بالنَّابل، وأضاءَت

السيوفُ الليلَ، وصَهَلَت الخيلُ، وتَلاطَمت الرجالُ.

وكَأَنَّ بشَّارَ بنَ بُرْد يَقصدُ ذلكَ اليومَ بقَوله :

كأنَّ مُثارَ النَّقعِ فوقَ رؤُوسنا

وأسيافَنَا ليلٌ تَهَاوَى كواكبُه

وكـانَ ليلٌ طويلٌ، ومـوتٌ زؤامٌ، ودَمٌ ونارٌ، وجـرت الأوديةُ بالدِّماء، ومَـزَّقَت أنَّاتُ الجَـرْحى، وصليلُ السـيوف، وصـراخُ المذعورين، وعَويلُ الفَزعين، سُكونَ الليل وهُدوءَه.

هولٌ أطمَّ بهم، وظلامٌ أربكهم، وفـزعٌ أذهلَهم، وشـجاعـةٌ حَيّرتْهم، وأسُودٌ مزَّقَتهم.

وصاحَ الصائحُ: النجاةَ النجاةَ، الفرارَ الفرارَ، الهزيمةَ الهزيمةَ.

وفرَّ عبدُ الله بنُ الحسين، ومعَه بضعةٌ من الرجال، وغنمَ رجالُ الملك عبد العزيز المعدات والآلات، وكسبُوا الذخائرَ والمؤنَ التي جاءَ بها عبدُ الله بنُ الحسين من المدينة.

غنائم كسبَها الحسينُ شهوراً وخسرَها دهراً، استولَى عليها من

الأتراك، وبقيت لديه أربعةَ أشهُر، وغرّته، وكانت العاقبة على الظالمين، والفوزُ للصابرين.

ووصلَ الملكُ عبدُ العزيز إلى ميدان المعركة بعدَ أيام من وقوعها، وبكَى عندمَا شاهدَ القتلَى، وحزنَ عندَما رأى الموتَى.

كم كنتَ عظيماً أيها الراحل! حتى الأعداء تحزنُ لفقدهم، وتبكي لمُصَابهم، ولكنكَ تعلمُ أنهم جندٌ أُجبِروا، وضُعَفاءُ أُرغِموا.

إنك رحّال متنقل، تعيد توحيد الوطن، وتجمع شمل الأمة.

وأحسب أن الشاعر أبا فراس الحمداني يعنيك بقوله:

قد ضجّ جيشُك من طُول القتالِ به

وقد شكتك إلينا الخيلُ والإبلُ

في كلِّ يومٍ تزورُ الثغرَ، لا ضجرٌ

يثنيكَ عنهُ، ولا شُغلٌ ولا ملَلُ

فالنفسُ جاهدةٌ، والعينُ ساهدةٌ

والجَيشُ منهمكٌ، والمالُ مُبتذلُ

وبقيَ الملكُ عبدُ العزيز في تربةَ حوالى عشرة أيام، يديرُ شؤونَها، ويرعَى أمورَها، وصاحَ بعضُ الرجال: إلى الطائف. رخِّصْ لنا يا عبدَ العزيزِ، اسمحْ لنَا يا طويلَ العمر.

وقالَ الملكُ لهم: كفَى الباغيَ جزاءً بَغْيُه.

لا تتقدَّمُوا، لا تندفعُوا.

وبدأ نَـجْمُ الحسينَ بن عليّ في الأفول؛ فقد انهزمَ هزيمةً منكرةً، وخسرَ خسائرَ عظيمة.

وانكسرتْ شوكتُه، وذلَّتْ إرادتُه، وخابتْ آمالُه، وتراجعَتْ طموحاتُه.

ولكنه ازدادَت عداوته، وعظمتْ كراهيتُه، وصارَ يكيدُ ويدبِّرُ ويخططُ ويفكرُ.

وعادَ الملكُ عبدُ العزيز إلى الرياضِ بعدَ أن نصرَه اللهُ وأعزَّ جندَه.

وصامَت الخرمةُ وتربةُ في كنَف الملك الظافر.

وعيَّدَتْ تلكَ الأقاليمُ في ظلِّ الملك العادل.

وكانتْ هذه المعركةُ سبباً في معركة أخرى، وكانتْ هذه الموقعُة بدايةً للقاء ثانٍ معَ الحسين بن عليّ.

فقد أنجبتْ لقاءً مسلحاً بدأ بالطائف، وانتهى برحيل الحسين وأبنائه من مكةَ المكرمة، ودخول الملك عبد العزيز الديارَ المقدسةَ، وتَشرُّفه بخدمة البِقاعِ الطَّاهرة.

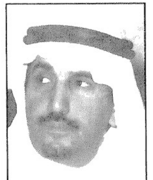
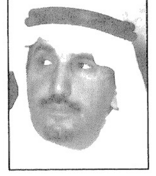
إنَّها مواجَهةٌ في تُربةَ، أعقبَتْها مصادمةٌ في الطائف، حيثُ ظلَّ الحسينُ بنُ عليّ بعدَ هذه المعركة كما كانَ قبلَها يكيدُ ويدبرُ، ويمدُّ الثائرين، ويناصرُ الجانحين.

وقضَى الله ولادةً حربيةً، أنجبت الأمنَ والأمانَ والخيرَ والسلامَ لأفضلِ البقاعِ وأحبِّ الأماكنِ إلى رسولِ الله ﷺ.

وحينَ رجعَ الظافرُ إلى الرياض استمرَّ في توحيد مُلك آبائه وأجداده.

حقًّا ما أصبرك يا عبدَ العزيز! وما أعظمَك يا موحِّدَ الوطن! وما أحْلَمَك يا بانيَ المجدِ!

وفي الحلقة التالية عرضٌ للمعارك الجبلية، وكيفَ وحَّدَ الملكُ البطلُ أقاليمَها، وكيفَ وقفَ الحسينُ بنُ عليّ يُساعدُ أولئكَ القوم على الملك عبد العزيز.

المؤلف في سطور

* د. عبد العزيز بن عبدالرحمن الثنيان
* من مواليد مدينة الرياض عام ١٣٦٩هـ.
* حصل على درجة الدكتوراه في الأدب العربي عام ١٤٠١هـ من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض.
* عمل معلماً لمدة عامين.
* انتقل الى جهاز وزارة المعارف، وعمل في الإدارة العامة للأبحاث والمناهج.
* عمل مديراً عاماً للتعليم بمنطقة الرياض، ولمدة عشر سنوات.
* عمل وكيلاً لوزارة المعارف، ولمدة سبع سنوات حتى تقاعده المبكر عام ١٤١٩هـ.
* شارك في العديد من الندوات والمؤتمرات واللجان، وله بعض المحاضرات والأبحاث في مجالات التربية والتعليم.
* من مؤلفاته التي صدرت:
  * الوحدة الإسلامية في الشعر العربي الحديث.
  * عمرو بن معديكرب الزبيدي (حياته وشعره).
  * بوح الذاكرة (الجزء الأول).
  * بطولة ملك (اثني عشر جزءاً).
  * بوح الذاكرة (الجزء الثاني).
* مؤلفات تحت الطبع:
  * إنسانية ملك (ثلاثة أجزاء).
  * بوح الذاكرة (الجزء الثالث).

بطولة ملك ٧

مَعْرَكَةُ تَلِدُ

د. عبد العزيز بن عبد الرحمن الثنيان

هذه السلسلة

حكاية بطولة، وملحمة فتوة، ورواية عظمة، للكيان الشامخ المملكة العربية السعودية.

إنها قصة ملك عظيم، أمضى زهرة عمره فوق ظهر حصانه، يُوحد ويجمع، يلمّ ويبني.

إنها مجموعة متوالية تحكي للشباب التاريخ الحافل بالبطولات، والماضي المتوهج بالتضحيات وكيف توحدت المملكة، وصارت هذه الدولة.

إنها من اثنتي عشرة قصة مُتسلسلة

١- الفُتُوَّةُ والزَّعَامَةُ. ٢- الاقتِحامُ والاستِرْدَادُ.
٣- التَّحَدِّي والمُنَازَلَة. ٤- تَحَالُفُ الخُصُوم.
٥- السَّاحِلُ الشَّرْقِيُّ. ٦- مُحَايِدٌ ومُحَارِبٌ.
٧ مَعْرَكَةُ تَلِدُ. ... لِيَّةُ.
٩- الشَّمَال الجَامِحُ. ... سدُ!.
١١- العَرُوسُ والمَهْرُ. ... دَايَة.

هذا وقد قامت الأمانة ... مائة عام على تأسيس المـ ... ودية بتحكيم الكتاب وتقو ... بعته الأولى.

كما نال الكتاب جائزة ... ي لعام ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

ردمك: ٢-٤٧٨-٢٠-٩٩٦٠
99042406000256

6